



NORTHWEST UNIVERSITY KANO, NIGERIA

NORTHWEST MULTI-DISCIPLINARY JOURNAL

All correspondence to:

The Editor-in-Chief,

Northwest Multi-Disciplinary Journal

c/o Dean's Office, Faculty of Humanities

Northwest University, City Campus

Gidan Ado Bayero, P.M.B 3220, Kano

Phone: +2348026596528

E-mail: umarlaabdo@yahoo.com

Date: 17th August, 2018.

Jami'u Saadullah ABDULKAREEM,

Department of Arabic,

University of Ilorin,

Ilorin.

فن المديح الشعري في عصر صدر الإسلام
وأثره في بائية الشيخ آدم عبدالله الإلوري: دراسة موازنة
إعداد/

جامع سعد الله عبد الكريم

المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن - نيجيريا

Jamiu Saadullah Abdulkareem

Department of Arabic, University of Ilorin, Nigeria

jamiuabdulkareem83@gmail.com

08034847659

الملخص:

يهدف فن المديح في عصر صدر الإسلام إلى الإشادة بالرسول والخلفاء الراشدين بعده تنويها بمساهماتهم الجليلة تجاه رقي الإسلام. ويمتزج المديح بشيء من الحماسة الدعوية الإسلامية على ألسنة الشعراء المدّاحين. ولم ينته أثر المديح الشعري للمجاهدين والمجددين في البلاد التي اعتنقت الإسلام أخيرا مما تدخل اليوم تحت العالم الإسلامي. وتعتز مدينة إلورن ببطولة رجالها ودعوة علمائها الإسلاميين، الذين أسسوا الإمارة الإسلامية بها تحت لواء الشيخ عالم، فتجب ذكرى آثارهم ومساهماتهم لتعريف الأجيال الصاعدة بما حتى لا تمسي أثرا بعد عين، وقد يما يقال: إن الشعر أفخر ما ينبئ عن الكرم، ناهيك عن الكرم الإسلامي.

وهذا الشيخ آدم عبدالله الإلوري الذي قام بقصيدته المديحية للأمير التاسع الشيخ ذي القرنين محمد الغميري، متأثرا بأسلوب الشعراء في عصر صدر الإسلام في مدح الأميرا ذكرى مساهمات جده الأعلى الشيخ صالح (عالم) في دفع عجلة الثقافة العربية الإسلامية بمدينة إلورن، كما يمدح أولئك الشعراء النبي ويذكرون المواقع الحربية الدفاعية على يديه وأيدي الصحابة. وسيقوم الباحث بدراسة فنية للقصيدة.

المقدمة :

يبدو أن بعض الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي بقيت سائدة في القصيدة العربية كالمديح والهجاء، والفخر والرثاء، إلا أن معاني هذه الأغراض بدأت تتغير لاعتبار الإسلام حيث تأثرت في استخدام الألفاظ وتناول المعاني بأسلوب القرآن تأثراً بعيد المدى، فكثرت في أشعارهم ضرب الأمثال وإيراد الحكم والقصد إلى المواعظ، مما يحث على مكارم الأخلاق وعلى التمسك بالآداب والقيم.^(١)

ولا يقل شأن المديح من بين الأغراض الشعرية في عصر صدر الإسلام بتعداد شخصية المرسل بالدعوة الإسلامية، بالإضافة إلى بعض فضائل الصحابة الكرام، وأعلام الجهاد منهم والمنفقين في سبيل الله، والافتخار بدعوته الإسلامية، والانتساب إليها عقيدة وعبادة وسلوكاً.

ونمثل بالشاعر الإسلامي آدم عبدالله الإلوري لفن المديح الشعري ببائيته العذراء، منوّهاً فيها بالمساهمة الدينية الدعوية التي قامت بها مدينة إلورن بزعامة الشيخ صالح (عالم) في إرساء الدولة الإسلامية في بقاعها، والشاعر يذكر ذلك كله في قصيدته البائية مدحاً لأحد خلفاء الإمارة الإسلامية الإلورية، وهو الشيخ ذو القرنين محمد الغميري.

وسيقوم الباحث بتفصيل الدراسة لهذا الفن لدى الشيخ آدم عبدالله الإلوري عبر الموضوعات الجانبية الآتية:

- ترجمة الشاعر الإسلامي النيجيري آدم عبد الله الإلوري.
- شاعرية العلامة الإلوري ومكانة المديح منها.
- دراسة فنية لبائية الشاعر الإلوري.
- التعليق على أسلوب الشاعر في القصيدة.

١- ترجمة الشاعر الإسلامي النيجيري - آدم عبد الله الإلوري:

هو العلامة آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله، الإلوري نسباً، والأزهري وفادة علمية، والإمام خطابة فنية، وشيخ الإسلام منهجاً أدبياً.

شهد نور الحياة يوم الجمعة ببلدة أمه واسا، في جمهورية بنين (الداهومي سابقا) عام ١٩١٧م، وسماه أبوه آدم تيمنا بجده الأعلى الشيخ آدم ألانمو البرناوي، والد جدته حلمية، وهو أحد كبار علماء المنطقة، ومن سلالة الفقهاء والعباد بربوة السنة.^(٢)

نشأ وترعرع تحت رعاية والده الذي علّمه قراءة القرآن الكريم ومبادئ الفقه الإسلامي والمنظومات، ثم أطلق سراحه للشيخ صالح محمد الأول أيسن نيّوبو الإلوري نزيل إبادن عام ١٩٣٤م، فقرأ عليه الحكم العلوية ومنتخب الدواوين الشعرية، وقواعد اللغة العربية وفقه الأخضري والعشماوي.

وفي عام ١٩٣٩م، التحق بمعهد الإمام عمر بن الإمام أحمد الأبهجي، ودرس عليه المقامات وتصريف الميداني وتخميس بانث سعاد وغيرها.

ثم واصل دراساته عند الشيخ آدم نماجي بن محمد العربي الكنوي الفلكي الفندققي أيام عهده بلاغوس، وتلقى منه علوم البلاغة في عقود الجمان للسيوطي، والكافي في العروض والقوافي، والسلم المنورق في المنطق، والفلك والفلسفة وأصول الفقه.^(٣)

نال وسام العلوم والفنون من جمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩م، وقد زارها للمرة الأولى عام ١٩٤٦م للازدياد من العلوم والآداب، وقضى بعده مناسك الحج، فأسس مركزه في أبيكوتا عام ١٩٥٢م، قبل نقله إلى أغيني عام ١٩٥٥م.

ولقد خلّف عددا كبيرا من المؤلفات في الدعوة إلى الله، وتاريخ الإسلام، والتربية، والفلسفة، واللغة، والأدب، وقواعد الإعراب، والتصريف، كما خرج ألفوا عديدة من الطلبة الماهرين في جميع المجالات الإسلامية والأدبية، وانتقل إلى رحمة ربه عام ١٩٩٢م، أديا موسوعيا، ومفكرا إسلاميا، وكاتبا منمّقا، وشاعرا مفلّقا، وخطيبا مفوّها.

٢- شاعرية العلامة الإلوري ومكانة المديح منها :

يعتبر العلامة آدم عبد الله الإلوري صاحب شاعرية عظيمة، تنبع عن إحساس قوي من ذات القائل، وصورة واضحة عن الإيمان بما يفصح عن قرارة النفوس، بتصور دقيق منه يصيب المغزى ويبلغ الكنه، بالدعم العقلي والفني بين الصعب الممتع والسهل الممتنع، بالاعتبار المناسب والملكة الشاعرة، والمقدرة الساحرة، وصقل التراكيب، والإبراز العاطفي.

ولم لا، وشاعريته إسلامية المنهج، حيث هي طاقة عقلية وفنية، متميزة بالرؤى الإسلامية المجيدة في العقيدة والعبادة والسلوك، وله في صدق شاعريته، ديوان شعرٍ جمعه هيئة التدريس بالمركز، وتُسمى "لقطات من قصائد الإلوري"، وأخيرا جمعه نجله الأستاذ ثوبان، وعني أحد تلامذته الأستاذ عبد الباقي أغاكا بدراسة ديوانه على مهجية الأدب الإسلامي، وهو يقول:

"وبهذا يُلاحظ أن الديوان قد لى نداء المنهج في توثيق الصلة بين القيم الفكرية والفنية، فهو يدعو إلى الفضائل دعوة صادقة لا مواربة، ولا تلين قناته لمحاربة خبائث الرذائل، ولا يتهاون في تقدير عظمة شروط فنية ظل النقاد البارعون يحررونها، تعبيرا جيدا عن الخالق والخلق والكون والحياة، غير أنني لم أشعر شعورا قويا بالتقصير في دراسي هذه، والله الواحد الكمال". (4)

وإذا كانت موضوعات الأدب الإسلامي تتجلى في الحب الإلهي، وعظمة الرسول، والإنسانية، فإن الشاعر الإلوري موقف في تطبيقها بقلمه السيل وفكره الناضج. وأما المديح فقد نال قسطا قليلا من شاعريته الفياضة، مع أنه لا يتكسب بشعره في بلاط الملوك والأمراء، وكثرت قصائده الجياد في الأغراض الأخرى، وسنعرض نماذج لكلها بالإيجاز.

أ- الزهد: جادت قريحته بدالية نظمها أيام تتلمذه زاهدا في الدنيا وراغبا في أجر الآخرة ونصيب الدنيا المسعد، عام 1941م، ويقول في مطلعها:

نعيمك في الدنيا نعيم محدد ** وعيشك فيها عيش من سيفئند
نجيء ونمضي واحدا بعد واحدا ** ومن قد مضى قد فات في الأرض يوسد (5)

ب- أدب الرحلة: المشوب بالحنين إلى الوطن: فمنه بائية نظمها عام 1946م، حين قام برحلة علمية إلى بلدان مصر، وفي مطلع القصيدة يقول:

أيا قاصدا أرض نحيريا أبلغن ** سلامي إلى أصحابها متراضيا

وقل لهم أني أعود إليهم ** إذا عسّس الليل ترى الصبح آتيا⁽⁶⁾

ج- الرشاء: وله قصيدتان أولاهما في تأبين شيخه نماج، والأخرى في التفجع لموت ابنته خديجة، يقول في الأولى عام 1944م:

همومي هاجها نوح الحمام ** وحزني عاق عن أكل الطعام
لموت نماج يا أسفي عليه ** ويا حزني وهمي بالتزام⁽⁷⁾

ويقول في الأخيرة عام 1955م:

الدهر سدّد سهمه فرماني ** فأصابني في أشرف الأركان
تلك الرزية في خديجة ابنتي ** كانت معي كالروح والريحان⁽⁸⁾

د- المدح: وهو ظاهرة الحماسة الدينية لمدح أمير إلورن عام 1962م، وشكر سفير المغرب الذي أضافه وأحسن مثواه، يقول في الأولى:

أمولاي ذا القرنين يا ابن محمد ** أمير إلورن طبت أصلا ومنصبا
ورثت لواء الدين من شيخ عالم ** مجدد دين الله في أرض يوربا⁽⁹⁾

ويقول في الأخرى:

من لي بشكر السفير الشاعر الحلبي ** عمر الأمين بهاء الدين والنسب
لولاه لا أحدٌ يدري بمقدمنا ** إلى الرباط وفاس المغرب العربي⁽¹⁰⁾

هـ- الشعر الاجتماعي لإصلاح الأوضاع الاجتماعية، وله همزيته المعروفة:

ويح قومي جهلوا معنى الحياء ** وأساءوا فيه ختما وابتداء
في مقام الحق أوجبوا السكوت ** وأباحوا الكذب والقول الهراء⁽¹¹⁾

و- الشكر على النعم: وهو عرفان الشاعر بالجميل لمولاه في النعم على اختلاف أنواعها؛ وللشاعر بائية في هذا الموضوع ومطلعها:

لقد جال فكري إلى أصل أمري ** فما آب إلا بأمر عجيب
فلا ينبغي لي سوى حمد ربي ** على نَعَمٍ فوق حصر الأديب⁽¹²⁾

ز- الفخر والحماسة: وهو من منظوماته المتداولة، يقولها الناس أيام حفلة الشهادة، ونذكر

إحداها وهي: استعدوا للنضال ** استعدوا للنضال

إيه يا أبطال علم ال** مدين قد آن النضال
اذهبوا في الأرض كال** أشبال وامضوا لا تبالوا
علموا الناس علوما** ليس يديرها الرجال(13)

ح- التصوف: وهو التقرب النفساني في موضوعات المناجاة والاستغاثة والتوسل، ونأخذ واحداً من نماذجه الكثيرة:

يا رب قد ضقت ذرعا بالهموم وقد** رجوت فضلك أصلاً ثم لم أزل
أرجوك والحال لا تخفى عليك على** ما كان لي من حياة البؤس العطل(14)

ط- الشعر التعليمي: وله أرجوزة بلاغية نظمها عام 1942م قبل زيارة لبلاد العرب ومنها:

هذا وأسرار البلاغة غدت** بفقته لغة الثعالي بدت
أصولها ثلاثة تعيها** قرآننا حديثنا يحويها(15)

وأسلوب شعره يتسم بالرقّة والسهولة في الألفاظ والتراكيب مع براعة الاستهلال، ولا يقول عن شيء إلا بما فيه خالياً من التكبس، وغلو العاطفة أو غموض الخيال، ولكن كان يستعين بالصور البلاغية لإيضاح أهدافه. ويختار من البحور التقليدية كما اخترع بحورا جديدة منها الكرم، وهو من الطويل المجزوء وغير ذلك.

3- دراسة فنية لبائية الشاعر الإلوري:

أ- عرض القصيدة:

بكل لساني بل بكل جواحي** أقول لكم أهلاً وسهلاً ومرحباً
أمولاي ذا القرنين يا ابن محمد** أمير الورن طبت أصلاً ومنصباً
ورثب لواء الدين من شيخ (عالم)** مجدد دين الله في أرض يوربا
وأجدادك الأولى الذين تقدموا** بنشر كلام الله شرقاً ومغرباً
ترقيت عرش الدين والعلم والتقى** وصرت أميراً للشؤون مرتباً
وأحمدت نيران الذين تمردوا** إلى أن شروا للأكل بالنور غيها
وأحييت آثار الصلاح التي عفت** وصيرت درب العلم للناس مشرباً

وإن كنت قد أجزمت في بعض وجهة ** فرئك غفار لمن كان تائباً
وما من تقي أو ولي وصالح ** تولّى أمور الناس إلا وأذنباً⁽¹⁶⁾

ب- مضمون القصيدة:

استهلت هذه القصيدة بترحيب أمير إلورن التاسع، محمد ذي القرنين الغميري الذي تولى الإمارة عام 1959م، في أول زيارته لمركز الشاعر العلمي والأدبي والدعوي عام 1962م، فقلوه: (بكل لساني وجوارحي) يعني به مدرسي المركز وطلابه وعماله بالإضافة إلى الشاعر، وكلهم كانوا يقولون للأمير: أهلاً وسهلاً ومرحباً.

وكشف الشاعر أيضاً عن أصل الأمير بعد ندائه، ذاكراً بأنه طيب الأصل والمنصب، حيث يعتري إلى المجدد الشيخ (عالم) صالح بن جُنَّت الفلاني، وقد وصل ذلك بوراثته للواء الدين وتحديدده في مشارق بلاد يوربا ومغارها.

ويخاطب الشاعر الإسلامي أمير إلورن مقراً بأنه قد تولى عرش الإمارة وما جاورها من المدن والقرى، وأن ذلك منة من الله الذي يؤتي ملكه من يشاء، وصار الأمير شجاعاً سديداً رأي قامعا للكفرة والملحدّين، فلا يخاف لومة لائم ولكنه يصرح بالحق ويؤتيه لمستحقه.

ثم شرع الشاعر في ذكر بعض مساهمات الأمير في حقول العلم بقوله: (وصيرت درب العلم للناس مشرباً)، ومن شواهدا إرساء الأمير ينبوع العلم والأدب والثقافة على ضوء المنهج الإسلامي الصحيح، وهو دار العلوم فالقلعة العلمية التي تعاون في وضعها مع جبهة العلماء والأئمة بمدينة إلورن. وقد صارت درب العلم للناس ومذهبهم العقلي والديني والاجتماعي، حيث آثروا العلم الرباني في جميع نواحي حياتهم وتقلباتهم.

وبعد ذلك كشف لنا الشاعر الأمر الذي كان منتشرًا بين الناس من شدة الأمير في جميع الأمور، مع أن الله يطالبنا أن نكون نحن المسلمين أمة وسطاً في كل شيء، فعَدَّ إللوري ذلك الأمر من مفرّطات الأمير، ولا بد منه لأن الإنسان مجبول على الخطأ والصواب مهما تكن درجة تقواه، علما بأن الكمال لله، ويحري بالإنسان في ذلك الموقف اسغفار لله تعالى.

ج- التحليل البلاغي للقصيدة:

- تتمتع هذه القصيدة بألفاظ مملوءة بالعدوبة والمواءمة بينها وبين المعاني، فذكر ألفاظا دلالية منها: (أهلا وسهلا ومرحبا) للترحيب، (ولساني وجوارحي) للشكر، (وهمة النداء) للقرابة في حمل الدعوة الإسلامية. وأما الصور الفنية فهي ملخصة فيما يلي:
- مجاز مرسل علاقته الكلية في قوله: "بكل لساني بل بكل جوارح"، إذ لا يمكن النطق بكل اللسان بل بجزئه.
 - كناية عن موصوف في قوله: "ورثت لواء الدين" حيث يقصد دولة العلم والدين، فهي الموصوفة باللواء.
 - أسلوب النداء وهو إنشاء طلبي في قوله: "أمولاي ذا القرنين" إشارةً إلى قرب الأمير الممدوح إلى قلب الشاعر الإلوري.
 - استعارة تصريحية في قوله: "أحمدت نيران الذين تمردوا" باستعمال لفظ النيران الذي هو المشبه به المذكور، والمشبه المحذوف هو عداوة الأعداء ومؤامرتهم ضد الأمير لزوال ملكه واعتزاله عن العرش.

د- عاطفة القصيدة وأخيلتها:

وتظهر عاطفة القصيدة باستخدام الشاعر الإسلامي أسلوب نداء القريب بالهمزة وذكر المولى بعدها، تعريفاً بمكانة آباء الأمير وأجداده في القيام بإرساء الدولة العلمية الإسلامية في الإمارة ونشر العلوم والآداب في بلاد يوربا، والشاعر مُدارٌ بمولاه الأمير، ما دام ذلك الأمير يطيع الله في رعيته.

وتخيل الشاعر الفسوق والفساد بالنيران التي تفسد الأشياء في سرعة، كما تخيل ردَّ الأمير لأولئك المتمردين إلى الرشاد واليقين، فصوّره بإخماد النيران من شدة بأسه وقوته في طاعة الله.

هـ- أفكار القصيدة:

فهي المعاني التي نترجم فيها الصياغة الفنية في أي عمل أدبي للإفصاح عن مقصود الأديب،⁽¹⁷⁾ ومن تلك الأفكار:

- ترحيب الأمير من قبل الشاعر وأعلام مركزه من المدرسين والطلاب.

- تذكير الأمير بأصله ومنبته، إذ هو مورث الإمارة الإسلامية الإلورية.

- توجيه الشاعر للأمير نحو وجوه الصلاح التي قد عقت لمرور الأحقاب العصرية عليها.

- تبشير الشاعر للأمير بمساهمته الكبيرة في إرساء الصلاح الذي كاد أن يفقد بين الأمة.

- الإقرار بنقص الإنسان الذي هو الخطأ المجبول عليه الإنسان مهما أراد الصواب.

و- الوحدة العضوية في القصيدة:

فهي استيفاء أجزاء الكلام شروطا تجعل بعضها آخذا بأعناق بعض، حتى تكون حية تامة الخلق والتكوين، مع خضوع بعضها المقدم لغيرها المؤخر. (18) ومن شروطها أن تكون القصيدة مترابطة العناصر، وتتحد في تيار مغناطيسي يجذبها بعضها إلى بعض، إذ ليست القصيدة خواطر مبعثرة تتجمع في إطار موسيقي، بل هي بنية نابضة بالحياة وإحساساتها حتى يكون كل بيت خاضعا لما قبله، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط في النسيج، يدخل في تكوينه ويساعد على تشكيله.

وتوجد الوحدة العضوية للقصيدة فيما يلي على ترتيب الشاعر لأفكاره المتسلسلة.

- ترحيبه للأمير إلورن وذكر اسمه لجاهله.

- استعادة الأفكار إلى مساهمة أجداده العلمية والدعوية.

- تعريف الأمة بتلك المساهمة ثم بيان مدارها الذي يسير عليه الأمير.

- بيان بعض مفرّطات الأمير، الأمر الذي يدفع صاحبه إلى استغفار الله تعالى، لأن كل ابن آدم خطاء، وترياق أخطائه هو الاستغفار.

ز- الإيقاع الموسيقي في القصيدة:

فهو ظاهرة ما شرحه المحلل من جمال المنظوم في إيقاعه الخفي، وما حوله في تحليل ما فيه، بتصوير ما للألفاظ من جمال، ومما بينهما من توافق وانسجام في الحروف والحركات. (19) ونكتفي هنا بما له صلة بالوزن والقافية.

● الوزن: اختار الشاعر البحر الطويل وهو (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن)، لأنه من

البحور الطويلة في ثماني تفاعيل، وإن كان الخبن قد جعله سهلا على اللسان، فلا

يزال وزنه بالإيقاعات الجياشة التي تنفعل بها النفوس، وتتجاوب معها القلوب، ولأن البحر ينتهي إلى أمور مقررة⁽²⁰⁾ يقرّها الشاعر ويطيّلها في بيان الأمور اللازمة لإكرام ممدوحه.

- والقافية: استخدمها الشاعر من نوع المطلقة الموصولة، المجردة عن الردف والخروج والتأسيس نحو: (ومرحبا) وهو لإيضاح القول، فالقافية المطلقة أوضح في السمع، وأشد أسرا للأذن، فتزداد حركة ما قبله متعة فنية،⁽²¹⁾ وروي الباء المفتوح شفتاوي يوحي بالابتسام من فتح الضم، ويلائم الفرح والارتياح، وحرف الباء أيضا جهوري،⁽²²⁾ يخرج به الحق جهرا فيتضح للقلب المعتقل، ويعني وصله من ظهور ألف الوصل في القافية- وصل مساهمة الشيخ (عالم) الدعوية بآثار أبنائه الأمراء في دفع عجلة الدعوة العلمية الإسلامية إلى الأمام.

5- التعليق على أسلوب الشاعر في القصيدة :

سيوضح في هذا الموضوع الجاني مدى تأثر الشاعر الإسلامي آدم عبد الله الإلوري بأعلام الشعر في عصر صدر الإسلام، ولا سيما في عهد النبوة المحمدية الأول من شعراء المهاجرين والأنصار.

- الغرض من هذه القصيدة هو المدح. ونلاحظ أن الإلوري قد راعى أن المقام مقام المدح والإرشاد معا، ومثل هذا المقام يملّي على الشاعر أن يكون يقظا فيما يختار من الألفاظ، فآثر الإلوري التعبير باللفظ الواضح السهل البعيد عن الغرابة والغموض؛ وإن كانت جزالة اللفظ وحسن انتقائه من مواصفات غرض المدح، فترك الشاعر الجزالة وعمل بالانتقاء.⁽²³⁾

- إن قول الشاعر للأمير: "أهلا وسهلا ومرحبا" لم يتعارض في مناسبته للترحيب والتوقير في عُرف شمال نيجيريا من تكريم الأمراء، وخاصة أهل مدينة إلورن الذين جعلوا تبجيل أهل بيت الشيخ (عالم) ولاسيما أمرائهم، جعلوها سنة متبعة يقتدون فيها بالصحابة الكرام والشعراء الإسلاميين الذين كانوا يوقرون النبي قولاً وفعلاً، حتى الدفاع عن شخصيته بالرد على من هجاه كما قال حسان بن ثابت:

هجوتَ محمدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

- واستخدم الشاعر النداء لاسترعاء انتباه الأمير والحضور أجمع، كما فعل عبدالله بن رواحة في توجيه الخطاب إلى الأمير في قوله:

ياهاشم الخير إن الله فضلكم ** على البرية فضلا ماله غير

وقال الشاعر الإلوري:

أمولاي ذا القرنين ياابن محمد ** أمير إلورن طبت أصلا ومنصبا

وكلا الشاعرين ذكر النسبة لممدوحه، ثم منصبه في الإمارة أو النبوة، ثم طيب الأصل وفضل التخير على البرية، وكل هذه الصفات معان إسلامية لم يقصد فيها اكتساب عرض الحياة.

- ولا يخفى وجه الشبه بين الشاعر الإلوري وحسان بن ثابت، إذ ذكر الإلوري مصدر الأمير لوراثة الدولة الإسلامية وهو الشيخ (عالم) المجدد، كما ذكر الصحابي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الله، فلأول التصريح بذلك في ممدوحه:

ورثت لواء الدين من شيخ عالم ** مجددين الله في أرض يوربا

كما قال الصحابي:

أغر، عليه للنبوة خاتم ** من الله مشهود يلوح ويشهد

- ولا يخفى مدى تأثره الوثيق بأولئك الشعراء المداحين في عصر صدر الإسلام في تعداد مناقب الرسول ومساهمته الدعوية، كما شرع الشاعر الإسلامي الإلوري يعدُّ تلك المناقب لممدوحه وآباءه وأجداده مؤسسي الإمارة الإسلامية في مدينة إلورن، حتى انتشرت إلى بلاد يوربا من نشر كلام الله، وترقى عرش العلم والدين والتقوى وترتيب الشؤون، وإخماد نيران المتمردين، وإحياء آثار الصلاح، وتصيير درب العلم مشرباً الأمة، كل ذلك في قوله:

وأجدادك الأولى الذين تقدموا ** بنشر كلام الله شرقا ومغربا

ترقيت عرش العلم والدين والتقوى ** وصرت أميرا للشؤون مرتبا

وأخمدت نيران الذين ترمدوا ** إلى أن شروا للأكل بالنور غيها

وأحييت آثار الصلاح التي عفت ** وصيرت درب العلم للناس مشربا

ويقول كعب بن زهير:

إن الرسول لسيف يستضاء به ** مهند من سيوف الله مسلول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال ** قرآن فيها مواعيط وتفصيل

ويقول أبو عزة الجمحي:

ومن مبلّغ عني الرسول محمدا ** بأنك حق والمليك حميد

وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ** عليك من الله العظيم شهيد

ويقول النابغة الجعدي في بيان مساهمته الدعوية:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ** ويتلو كتابا كالجرة نيرا

ويقول حسان بن ثابت:

نبي أتانا بعد يأس وفترة ** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأنذرنا نارا وبشر جنة ** وعلمنا الإسلام فالله نحمد

ويقول عباس بن مرداس - فارس بن سليم - في ذكر كتابه الفرقان:

نبي أتانا بعد عيسى بناطق ** من الحق فيه الفضل منه كذلكا

أمين على الفرقان أول شافع ** وآخر مبعوث يحيب الملائكا

- ويرى الشاعر الإلوري متأثرا بفهم المقصد الإسلامي في مكانة الرسول التي لا يبلغ

كنهها أي واحد من الأمة مهما أحببت لله ونسك، لأن النبي محمدا هو المغفور له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر، ولذلك لم يمكن الشاعر الإلوري أن يقول مثل ما قاله

حسان في النبي:

خلقت مبرا من كل عيب ** كأنك قد خلقت كما تشاء

ولكنه يقول في شخصية الأمير:

وما من تقي أو ولي وصالح ** تولّى أمور الناس إلا وأذنا

وإن كنت قد أجرمت في بعض وجهة ** فربك غفار لمن كان تائبا

- ونفهم من أسلوبه أيضا أنه - بالإضافة إلى مظاهر تصويراته الفنية السالف ذكرها - قد

انتهج منهج الأسلوب التاريخي في سرد حقائق الحوادث الماضية من أمور الجهاد

والدعوة، التي قام بها أجداده الأولون في نشر الإسلام وتعاليمه بقوله: (وأجدادك

الأولى الذين تقدموا بنشر كلام الله، ورثت لواء الدين، أحيت آثار الصلاح).

- واستعمل البحر الطويل للإخبار بطول صفات الأمير ذي القرنين، وكثرة آثار أجداده، حيث يمتاز هذا البحر باحتواء الكلام الكثير لطول إيقاعاته الجياشة، وقد اقتدى في ذلك بحسان وأبي عزة في داليتيهما.
- ويلاحظ على الشاعر أنه أساء استخدام التأسيس في قافية أحد أبيات القصيدة حيث قال: (... فربك غفار لمن كان تائباً)، حيث خالف لفظ "تائباً" بقية الألفاظ التي لم تكن مؤسسة.

الخاتمة:

سلط الباحث أضواء الملموسة على فن المديح في عصر صدر الإسلام في مبناه ومعناه، وبين مدى تأثير ذلك العصر في فنه الشعري الإسلامي في أشعار المحدثين، والذي تفضل الشاعر الإلوري بتقديم مثله للأمير إلورن التاسع ذي القرنين محمد الغميري، فذكر فيه المعاني الإسلامية، إذ غايته الدعوة والجهاد ونشر العقيدة والعلوم، وتوسعة الدولة الإسلامية في بلاد يوربا من الأمور التي ساهم في تحقيقها أجداده الأوائل من المجدد الكبير، فضيلة الشيخ صالح (عالم) بن جنت الفلاني، وقد تأثر العلامة الإلوري - شاعر إمارة إلورن بشعراء العصر الإسلامي في معانيه وعروضه وأسلوب بناءه للقصيدة، والتي تأثر فيها إلى حد كبير بحسان بن ثابت شاعر الرسول.

وأدرك الباحث أن الشيخ آدم عبدالله الإلوري شاعر إسلامي كبير غير متكسب، بل هو أديب منوه بالشعائر الإسلامية عقيدة وعبادة وسلوكاً. ولم يكن ممن يُعميهم الحب الفارط عن الحقائق، فقد صرّح بالحق في نصيحته للأمير الغميري أن لا يجعل آثار أجداده تذهب جُفاء وهباء، بل يجدر به أن يحافظ عليها في جميع مجالاتها العقدية والثقافية العربية والسياسية الإسلامية.

وفي جانب المظاهر الفنية، لا يخفى استخدام الشاعر الإلوري للألفاظ الملائمة حيث كانت سهّلُها الممتنعة لذكر مناقب الأمير كما اقتضاها مديحه المشوب بالنصيحة، ولعل سبب ذلك يرجع إلى محاولته تفهيم الأمير.

الهوامش

- 1- الفاخوري، حنا: تاريخ الأدب العربي، ط12، عام 1994م، دار الشروق، بيروت- لبنان، ص129.
- 2- الحقيقي، سليمان صالح الإمام: النشر الفني لدى العلامة الإلوري، ط1، عام 2006م، مركز المضيف، إلورن- نيجيريا، ص30.
- 3- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، ط1، عام 2004م، مكتبة المجلد العربي، القاهرة- مصر، ص9.
- 4- المرجع نفسه، ص9.
- 5- هيئة التدريس بالمركز: لقطات من قصائد الإلوري، غير مؤرخ، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيجي، لاغوس- نيجيريا، ص8.
- 6- المرجع نفسه، ص10.
- 7- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 8- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 9- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 10- ثوبان، آدم عبد الله: ديوان العلامة آدم عبد الله الإلوري، ط1، عام 2010م، مركز العلوم العربية والإسلامية، أغيجي، لاغوس- نيجيريا، ص15.
- 11- المرجع نفسه، ص16.
- 12- المرجع نفسه، ص23.
- 13- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- 14- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- 15- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- 16- المرجع نفسه، ص10.

- 17- ضيف، شوقي (الدكتور): في النقد الأدبي، ط5، عام 1962م، دار المعارف، القاهرة- مصر، ص7.
- 18- المرجع نفسه، ص153.
- 19- المرجع نفسه، ص10.
- 20- إبراهيم، أنيس (الدكتور): موسيقى الشعر، ط5، عام 1972م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص56.
- 21- إبراهيم، أنيس (الدكتور): أصوات لغوية، ص63.
- 22- رمضان، عبدالتواب (الدكتور): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، عام 1985م، مكتبة الخانجي - القاهرة، ص25.
- 23- عبدالحليم، محمود (الدكتور): النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، ط2، عام 1982م، مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص23.